

الجنرال يعود إلى قصر بعدا بالقوة الشعبية رهان استراتيجي متبادل بين الأسد وعون

هتاف دهام



العاصمة الفرنسية الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند بالرئيس الإيراني حسن روحاني الذي أبلغ هولاند أنّ طهران لن تناقش الملف الرئاسي اللبناني مع أحد، وأنّ الانتخابات الرئاسية شأن داخلي يعني اللبنانيين عموماً والمسيحيين خصوصاً، وبمعنى آخر دعا روحاني الفرنسيين إلى النفاذ مع حزب الله وعون.

إنّ قراءة جنرال الرابطة للتطورات المفصلة والنوعية في المنطقة عزّزت صحة خياراته الاستراتيجية التي اتخذها في مواقيتها، حفاظاً على الوطن لبنان وعلى المكون المسيحي فيه وسائر المكونات معاً، فالجمهور المسيحي يدرك مدى المرارة والظلم إذا انكسر عون، واستتلاعات الرأي التي أجريت في الأوتة الأخيرة وحصل خلالها العماد عون على 55 في المئة من أصوات المسيحيين مقابل 45 في المئة لخصومه، تأتي جراً حمل عون بصلاية خيار الشرقية المسيحية والدفاع عن المسيحيين في الشرق.

عندما يرى عون أنّ خط المقاومة والممانعة في المنطقة قد تعزّز ولم تعد الفوضى ضاربة جذور العالم العربي ووقفت مضارها التي حلت بهذا الوطن على أبواب سورية الصامدة بفعل صمود الرئيس الأسد والجيش السوري والمقاومة في لبنان، من الطبيعي أنّ يكون الجنرال قد خلص إلى «أنّ هذا الخيار الاستراتيجي وهذا النهج يحمي الأوطان والمكونات فيه لأنّ ما سُمّي يوماً بـ«الفوضى الخلاقة» أتاح بكل تنوع مما يسمّى الوطن العربي وهو وطن منقسم إلى دول لم ترتق إلى مصاف ما يشبه الاتحاد والكلمة الواحدة في قضايا مركزية يفترض أن تهتم هذه الدول كقضية فلسطين وحق العودة ونزوح الشعوب عن أوطانها.

فهل حان وقت طفاف العماد عون ثمار تحالفه مع محور المقاومة، فهو لم يتأ بنفسه لحظة على مدى أربع سنوات عن دعم حزب الله في الحرب ضدّ الإرهاب في القصر والقلمون والزبداني، ووقوفه الى جانب الرئيس الأسد في الحرب الكونية ضدّ سورية الدولة والتاريخ والحضارة....

يستعدّ التيار الوطني الحزّ للظهور في 11 تشرين الأول لمناسبة 13 تشرين الأول 1990، الذكرى الخامسة «لإزاحة» العماد ميشال عون من بعدا، فهل سيفعل عون بإزاحته عن الرئاسة في عام 2015؟

الرجل الرقائلي ملتزم وثابت على مواقفه، فالرياح التي تهبّ في المنطقة كلها لصالح أشرفته، وتنازله في هذه المرحلة الفاصلة يعني انتهاءه سياسياً، ولذلك هو اليوم أمام خيارين: إما التشدّد حتى فرض وجوده على الساحة الوطنية، وإما التنازل والانحسار السياسي، وكأنه يتقي نفسه مجدداً في الداخل. لقد رغب الرئيس الفخري للتيار الوطني الحزّ بحسب مصدر مطلع مقرب من الرابطة لـ«البناء» أنّ يقيم مهرجاناً حافلاً وحاشداً بشكل تظاهرة

رجّح العامل الروسي كفة محور المقاومة، وأثار الدخول الروسي العسكري إلى الميدان السوري تسائلات حول تأثيراته الإقليمية المحتملة على لبنان، لا سيما على الفراغ الرئاسي الذي ظنّ الجميع أنه سينتهي في شهر أيلول الماضي كأحد مفاعيل توقيع الاتفاق النووي الإيراني.

عزّزت المشاركة الروسية موازين القوى في سورية التي فرضها صمود حزب الله والجيش السوري في الحرب ضدّ الإرهاب وتوقيع الاتفاق النووي بين إيران والسعودية الدولية، حيث اقتحمت الطائرات الروسية العسكرية الأجواء السورية لمساندة الجيش السوري وحزب الله، بعد سنوات من فشل الرهانات الأميركية من جدوى الحرب السورية التي لم ينجح كتل غالبية الدول الغربية والخليجية والإقليمية من إسقاط الدولة السورية ولا ضرب شرعية الرئيس بشار الأسد، وأظهرت المساندة الروسية أنّ الأسد ياق رئيساً للجمهورية طيلة ولايته على رغم كل المحاولات التي انتهجتها الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا وقطر والسعودية وإسرائيل، لإسقاطه.

وإذا كان التحرك الروسي سيحدث تغييرات في المسرح السوري، فإنّ من شأن هذه التغييرات أن تتعكس على الواقع اللبناني، وهذا ما يجعل رئيس كتلة التغيير والإصلاح العماد ميشال عون مرتاحاً أكثر من أي وقت مضى إلى خياراته الوطنية والإقليمية، فهو ينتمي إلى المحور الذي يتنصر في المنطقة، ومجريات الميدان تجعله أقرب إلى قصر بعدا، ويحظى بدعم كبير من حليفه الاستراتيجي المقاوم حزب الله الذي أكد أمينه العام أنّ الفرصة لانتخاب الجنرال في الرئاسة ستزيد وحظوظه باتت أقوى، فضلاً عن دعوة الأمين العام لحزب الله في ذكرى الشهداء القادة في شباط الماضي، «اللبنانيين إلى تدبّر مستقبلهم، لا يصنع المستقبل الغائبون عن الصراع، والمنكفون عن المبادرة، والمنتظرون لما تستقر عنه الحرائط التي ترسم على طاولة الكبار، في رسالة علنية للعماد عون تدعوه إلى التمسك بحقوقه، لأنّ الظروف مواتية، ورسائل إلى الحلفاء والخصوم بغير ما هي للأطراف الدولية الإقليمية، إنّ حزب الله يتبنى خيارات عون وتمتدح بترشحه.

أصبح مؤكداً أنّ بقاء الرئيس الأسد رئيساً لسورية يعني انتخاب الجنرال عون رئيساً للجمهورية، فالرجلان يتبادلان في الأسابيع الأخيرة وكثير من مرة رسائل الدعم والتأكيد، أنّ الرهان الاستراتيجي على اللحظة المقبلة هو رهان متبادل، ومن بين هذه الرسائل تلك الرسالة التي نقلها المستشار الإقليمي للجنرال الصحافي جان عزيز بعد زيارته العاصمة السورية، وتؤكد ثقة الأسد الكبيرة بعون ودعم وصوله إلى قصر بعدا. يُضاف إلى ذلك اللقاء الذي جمع في

العسكرية معاً، فهو لا يرتضي لنفسه كما لا يرتضي مرشحاً ما يسمّى بالرشاوى الوظيفية أي مجرد الترقية للترقية، ولذلك لن تقع بحسب المصدر المقرب من الرابطة، مع العماد عون في الإبتزاز في مثل هذه المواضيع، فمن يراهن على إنهاكه واستهلاك قواد يقرب تاريخ تسريح روكز لا يعرف جنرال الرابطة، ذلك أنّ هذا الأمر يزيد تصميمها وتحكمها بحق المكون المسيحي الميثاقيّة والدستورية بمجرد أنه لا يزال مستهدفاً لأنه صاحب رؤية ومشروع واستراتيجية.

أما بالنسبة إلى الحوار، فالامر مرتبط بما سيحصل اليوم الإثنين - أي قبل الحوار- من تطورات، فإنّ رأى تبديلاً في أسلوب التعاطي مع حبيته الشعبية الأوزن، شارك في الحوار، وإنّ رأى التسوية والمناورة والتجني أسيد الموقف أحجم عن الحضور، فعدم حضوره شخصياً جلسات الحوار أمر ذو دلالات كبيرة.

موقع عسكري يليق به ويليق هو بالموقع. قال عون لـ«الثلاثة»: لا للمقايسة، لا للجائزة الترضية ولا للرشوة الوظيفية، ما يعني أنه لن يقايب موقعاً مستحقاً بأيّ تنازل في موضوع دستوري أو ميثاقي كالرئاسة أو آلية عمل الحكومة أو ما شابه من مفاصل واستحقاقات دستورية وميثاقية، كما أنه لا يستعطف شيئاً من أحد في موضوع الترتيبات، كل ما في الأمر أنه طلب أن تمارس الحكومة صلاحياتها الدستورية بمقتضى المادة 65 من الدستور بتعيين قائد جيش جديد ورئيس للأركان وسائر أعضاء المجلس العسكري، هذه المواقع التي شغرت ببولوج شاغليها سنّ التسريح وبعضها منذ زمن، فانت القرارات الوزارية المتهورّة بتاجيل التسريح لتشكل سابقة خطيرة ومخالفة كبرى للدستور والقانون، وبالتالي أصبح بعد ذلك متلقفاً وليس مبادراً لحلّول وتسميات ومقاربات ينظر إليها من باب الحق ومن باب المؤسسة

فلا الترتيبات ولا التجنّيات في موضوع الطاقة أو سائر الوزارات التي تولاها وزراء التيار الوطني الحر، أو المناورات أو الحوارات التي يتقصّد البعض التسوية فيها وتأخير الحلّول، تنفّع مع هذا الرجل وقد قالها جهاراً.

عرف حليفه المقاوم هذه الميزات ووقف عندها ونادى كما ينادي التيار الوطني الحر بالرئيس القوي انطلاقاً من هذه الميزات والحرص على الشراكة الوطنية الفعلية التي تمنع الاستئثار بالحكم والدولة من أيّ مكون كان، لكن الأمل بحسب المصدر أنّ يفهم الآخرون هذه المعطيات والصلات.

في ملف الترتيبات، ليس عماد الرابطة مسكوناً بهاجس 15 تشرين الأول تاريخ بلوغ قائد فوج المغاوير العميد شامل روكز سنّ التسريح إلى التقاعد، وأنه لا يحرك الدنيا ويقهها ولا يقعدا لشخص العميد المستحق بل لأنه مستحق، ولأنّ الممثل الأقوى للمكون الذي ينتمي إليه قد رسخه

شعبية على طريق قصر بعدا الذي كان قد أسماه «قصر الشعب»، ليقول إنّ من خرج من القصر بقوة السلاح سوف يعود إليه بقوة الحيثية الشعبية، أو بقوة الشرعية الشعبية ومن الباب الواسع، ذلك أنّ تهمة الحقوق الدستورية والوطنية للمكون المسيحي أمر لم يعد مقبولاً على الإطلاق حفاظاً على ما يسمّى الشراكة الوطنية.

إنّ الخلاصات التوقّيمية التي أجراها الجنرال وإن دلت على شيء فهي تدل بحسب المصدر على «أنه مصمّم ومناضل ومشرقي ومبدئي، وأنه الزعيم المسيحي الشرقي الأول، وأنّ يديه لم تتلوثا بالفساد أو تصافحا عدواً، وهو القائد المسيحي الذي يستطيع أن يحرك شعب لبنان العظيم، كما لم يستطع يوماً أيّ زعيم ماروني آخر منذ الاستقلال حتى اليوم.»

أمام كلّ هذه المعطيات يبقى السؤال: هل يستطيع أحد أن يأخذ عون بالمعرق، بالطبع لا،

جردة الحساب العونية... الأرباح في الاستراتيجية والخسارة في التكتيك



الدوحة بنتائج ومفاعيله... لن يتكرر

لجدد عون نفسه أمام خيار من ثلاثة إما البقاء في 14 آذار مهشماً وكأنه منفي في الداخل والقبول بإعلان وفاته سياسياً والانتحار، وإما تشكيل حالة مستقلة عن 8 و14 وهذا الخيار لا يراهن عليه، أو التحالف مع فريق 18 آذار أو أحد مكوناته. استفاد عون من التحالف الرباعي الإسلامي ضدّه، فحصل علفاً مسيحياً إضافياً أوصله لتشكيل أول تسونامي مسيحي على الصعيد الوطني، وهذا ما لم يتوفّر لأيّ شخصية مسيحية على مساحة «الجغرافيا المسيحية».

قرأ عون في عقله الاستراتيجي أنّ الخيار الأفضل هو بالتحالف مع حزب الله، ووجد في حزب الله منكا وطنياً وأوراق قوة استدخله إلى السلطة، أما حزب الله فقام بمراجعة سريعة للتحالف الرباعي وأدرك أنّ مفاعيل تلك اللحظة وقتية وليست استراتيجية، فسارع إلى خيار أكثر انسجاماً مع الذات فوجد في النفاذ مع البرتقاليين فرصة ساحة للاتفاق مع شريك مسيحي لكسر الحصار المذهبي المفروض عليه، فكانت وثيقة مار مخايل في شباط عام 2006 مصلحة للطرفين على حد سواء، أهم محطة مرت في السنوات العشر من حيث المواقف الاستراتيجية والوطنية، إذ أثمر النفاذ اتفاقاً عونيا حول المقاومة خلال عدوان نموز 2006 ويعده وأثبت عون لحزب الله أنه على قدر الطموح الاستراتيجي والأمل الذي راهن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله عليه.

لم تهتزّ ثقة عون بحليفه المقاوم أثناء الحرب «الإسرائيلية» على لبنان، بقي على موقفه الصلب، لتشكّل حرب نموز أول امتحان بالنار للتحالف، حيث نقلت العلاقة إلى مستوى غير مسبوق بالذهاب إلى خيارات وطنية كبرى، على رغم أنّ هذا النفاذ لم يؤدّ مفاعيله على صعيد المفاصل الداخلية، إذ بقي عون خارج السلطة، واشتدّ الحصار عليه مع استقالة الوزراء الشعبية من حكومة الرئيس فؤاد السنيورة في تشرين الأول عام 2006، لتعزّز تظاهرات في 23 تشرين الثاني التي أقيمت على باب السراي الحكومية في 1 كانون الأول 2006 الشراكة بين التيار الوطني الحر وفريق 8 آذار بكل مكوناته، وتشكّل تجربة الساحات والخيم أول تجربة انسجام للعونيين مع فريق 8 آذار.

تعزيزت العلاقة التحالفية بين عون وفريق 8 آذار مع تشكيل المحكمة الخاصة بلبنان، وانتهاء ولاية الرئيس إميل لحود في 23 تشرين الثاني من عام 2007 وبقاء منصب الرئاسة شاغراً مدة سبعة أشهر بسبب تعنت تيار المستقبل في تلك الحقبة بإنتخابه رئيساً للمنتدى في تلك الحقبة بدعم الدولي الكبير الذي حظي به بعد اغتيال الرئيس فيق الحريري، ما أدى إلى تعطيل الانتخابات الرئاسية، لتصبح أكثر متانة مع قرار حكومة السنيورة في 5 أيار (إقالة العميد فيق شفيق من جهاز أمن المطار وتفكيك شبكة اتصالات حزب الله)

إلى مشروع سياسي، فالمشكلة بينهما تكمن في قراءة متناقضة لما يجري في المنطقة لجهة تأثير ذلك على مسار الرئاسة الأولى، فـ«القوات» لا تزال تقرّ المعطيات على أساس الأهداف الغربية، أي إسقاط الدولة السورية ورئيسها بشار الأسد، الأمر الذي يرجح الكفة الرئاسية لصالح فريق 14 آذار، في حين أنّ العماد عون يقرأ المتغيرات في صمود الرئيس الأسد والدخول الروسي بالمعركة ضدّ الإرهاب إلى جانب محور المقاومة دعماً ومعنويات جديدة لصالح المحور الذي ينتمي إليه.

نجح عون في الاستراتيجية وقشل في التكتيك، لم يحقق الكثير من التغيير والإصلاح الذي ينادي به، لكنه لم يدخل إلى نادي المحاصصة ولا أصبح من حيتان المال، لذلك اصطدم بجدران سميكة من المؤسسات وقرارات قانون انتخابي يحقق العدالة وصحة التعطيل على المستوى الوطني بعيداً عن زواريب الطوائف والمذاهب.

العودة له، غير أنّ رئيس تيار المستقبل أخذ بالتزاماته ولم تستكمل مسيرة شهر العسل، فكل ما وعد به تراجع عنه وأخذ به لا سيما في ملف التعيينات الأمنية والعسكرية وفي الملف الرئاسي، على رغم كل محاولات عون مساندة الحريري وفتح باب النفاذ معه والتضحية إلى حدّ ما بالجهود والإنجازات التي تمثلت في كتاب «الإبراء المستحيل» الذي عاد من جديد إلى الواجهة مع نزول العونيين إلى الشارع.

ينظر عون بمكياج واحد إلى سياسة القوى المسيحية في 14 آذار، غير أنه على رغم الثلاثين عاما الحافلة بالتناقضات والصراعات الدموية والحروب الإعلامية مع القوات اللبنانية، قرّر التحاور مع رئيسها سمير جعجع، وشكل التقارب العوني - القواني خطوة وحيدة إيجابية على الصعيد المسيحي بين الأقطاب الموارنة، بغض النظر عن أنّ الحوار هدنة إعلامية ليس لها أيّ نتائج ملموسة، لقد حدّ إعلان النوايا من النزاعات الإعلامية المسيحية - المسيحية إلا أنّ هذا التقارب المحدود الأبعاد لن يتحوّل

تلمز عون والعكس صحيح، إذ لا يوجد موقف موحد سواء من قانون الانتخاب أو الحكومة أو المجلس.

وصلت العلاقة بين عون وحزب الله إلى ذروتها في الدوحة، كسب الجنرال من اتفاق الدوحة الاعتراف به أنه مكون من المكونات الرئيسية في البلد التي لا يمكن تجاوزها داخل السلطة وخارجها، وأنه يشكل حالة للبناء عليها سياسياً، قبل عون إجراء المعادلة الإقليمية والدولية أنّ يلعب دور الرئيس الظل بناء على وعد الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي بقانون انتخابي عادل ويحقق التمثيل الصحيح. كان الجنرال يفطن أنه والرئيس سليمان الخندق الوطني نفسه، غير أنّ خيبته كانت كبيرة من الأخير الذي قبل أن يتولى مهمة محاصرتهم بوكالة حصرية من تيار المستقبل. ذاع جنرال الرابطة في السنوات الست من عهد سليمان الأمين، فهو موجود في السلطة، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يفعل شيئاً، يتمثل بـ 10 وزراء في حكومة الرئيس نجيب ميقاتي، بيد أن هذه

واندلاع أحداث 7 أيار.

أثبتت الأحداث التي حصلت أنّ علاقة العماد عون مع حزب الله هي العلاقة الأكثر رسوخاً في تاريخ الحياة السياسية منذ العام 1943 حتى اليوم. فالتحالف المشاكل الأنية المتعلقة بالتنميد للمجلس النيابي لولايتين أو لقائد الجيش العماد جيان فوهجي، فكلهما متفقاً أنه مهما كانت الخلافات الداخلية أو الطارئة فهي لن تمنع جوهر التحالف، كذلك الأمر بالنسبة للعلاقة مع الرئيس نبيه بري فالخلافات التكتيكية بين عين التينة والرابطة مضبوطة تحت الرقابة، يمسك حزب الله كبري النار بين عون من جهة والرئيس نبيه بري من جهة أخرى، ويحاول ضبط أيقاع التباين لكي لا يقع في أزمة بينهما، وفي الوقت نفسه ترك لهما الهوامش التي لم تؤثر على جوهر العلاقة. فالتحالف هو تحالف استراتيجي على مستوى الخيارات الإقليمية بعكس المواقف المتباينة على مستوى لعبة السلطة، فمواقف بري لا

واندلاع أحداث 7 أيار.

أثبتت الأحداث التي حصلت أنّ علاقة العماد عون مع حزب الله هي العلاقة الأكثر رسوخاً في تاريخ الحياة السياسية منذ العام 1943 حتى اليوم. فالتحالف المشاكل الأنية المتعلقة بالتنميد للمجلس النيابي لولايتين أو لقائد الجيش العماد جيان فوهجي، فكلهما متفقاً أنه مهما كانت الخلافات الداخلية أو الطارئة فهي لن تمنع جوهر التحالف، كذلك الأمر بالنسبة للعلاقة مع الرئيس نبيه بري فالخلافات التكتيكية بين عين التينة والرابطة مضبوطة تحت الرقابة، يمسك حزب الله كبري النار بين عون من جهة والرئيس نبيه بري من جهة أخرى، ويحاول ضبط أيقاع التباين لكي لا يقع في أزمة بينهما، وفي الوقت نفسه ترك لهما الهوامش التي لم تؤثر على جوهر العلاقة. فالتحالف هو تحالف استراتيجي على مستوى الخيارات الإقليمية بعكس المواقف المتباينة على مستوى لعبة السلطة، فمواقف بري لا